نافذة

إيلي شويري والاحتجاب!

صدّاحاً كان صوته، غنى بصوته الجبلي أجمل الأغنيات، كانت أغنياته منتمية ومختلفة عن كل الغناء الذي نسمعه من هذا وذاك، عاش المدرسة الرحبانية مشاركاً في أعمالهم، وفي خمارة جورية كان متألقاً، ولكنه اختطّ لنفسه خطاً آخر، خطٌّ يختلف عن الرحابنة ويلتقي معهم، وقد منحه الله مواهب عدة من قامته المميزة وحضوره اللافت، إلى جرثومة الكتابة التي شهدت بعبقرية كلمته المميزة التي تلتقي وتفترق مع الرحابنة ومع وديع الصافي ومع صباح، ومع كل الغناء اللبناني آنذاك.. إيلي شويري المبدع الذي لن يجود الفن والإبداع بمثيله إخلاصاً وثباتاً ووضوحاً، وهل يمكن أن ينسى الناس رائعته (صبي ولا بنت) التي صاغها بروحه من تجربته الخاصة، ولحنها بدم قلبه وشوقه لتكون معزوفة أب يتوق إلى من يحمل اسمه دون مواربة، ودون أن يخفي نوازعه؟!

إيلي شويري مبدع عربي ينتمي إلى لغته غناء وهوية، وينتمي إلى الوطن انتماء متميزاً، وها هو يصوغ الأغنيات التي تحولت إلى أناشيد دائمة وغير موسمية، ووحده بين الفنانين الغنائيين الذي أشبه إبراهيم طوقان في الروح والسيرورة، فكما تحوّل نشيد طوقان (موطني) إلى معزوفة عذبة يرددها جميع الناس حباً بأوطانهم وبلدانهم كذلك تحولت أغنيات إيلي شويري إلى أناشيد، وكثيرون ممن يرددون هذه الأناشيد لا يعلمون أنها من إبداع شويري شعراً ولحناً!

وهل ننسى (صف العسكر) التي تتغنى بالأرض والجندية والمقاومة والتشبث بالأرض والكرامة؟ وليس من باب المصادفة أن يتغنى الكبير دريد لحام بنشيده الجميل (بكتب اسمك يا بلادي) والذي تحوّل إلى لازمة في كل لقاء مع لحام ومع غيره من الفنانين، وهو نشيد يستدر الدمع والحب للوطن والأرض، ويقدّم حالة وجدانية مميزة، ولعلّ شويري من أكثر البارعين في المزج اللحني والإفادة من التراث جملة كلامية ولحنية، ومن منا يمكن أن ينسى لقاء ماجدة الرومي في دار الأوبرا بعد قطيعة مع دمشق وسورية، عندما جاءت لتشدو برائعتها (يسعد مساكم يا أهل الشام) والتي جمعت الكلام الجديد المعاصر مع الكلام التراثي الفولكلوري، وجمعت الجملة اللحنية التي تعبر عن الحاضر، والجملة اللحنية التراثية الأصيلة لأبي خليل القباني ولغيره من الموسيقيين.. وهذه المعزوفة السورية الشامية كلمة ولحناً هي للكبير إيلي شويري الذي لم يشأ أن يكون اللقاء بسورية حفلاً عادياً، بل أراد أن يقدم لها معزوفة مميزة، وبطاقة حب خاصة تتحرك في حارات دمشق وفي المدن السورية من (يا مال الشام) إلى (القراصية) وغيرها من الألحان الخالدة الباقية.

إيلي شويري يغيب اليوم عن المشهد الفني والاجتماعي، هو في مكان ما على الرغم من اختماره وخبرته، فقد وصل إلى مرحلة متقدمة في السن، وإلى مرحلة مؤلمة من النكران لإبداعه، وسورية التي اعتنت بعاصي الرحباني، وكرمت الرحابنة ووديع الصافي وغيرهم أجدر بأن يكون هذا المبدع الذي أحب سورية، في حين تنكر لها الآخرون، حتى من أبنائها، هي الأجدر بأن تلمس روحه وشعره وموسيقاه، وهي الأجدر بوردة شكر لرحلة خاصة لم تخضع للتقلبات، فالمحب شويري لم يكن مزاجياً في حب سورية، ولم يخضع حبه لأي ابتزاز سياسي أو نفعي.. وإيلي شويري هو من النادرين في هذا الزمان للتكريم والاعتناء، كلمته ولحنه وتراثه، بتاريخه وشواهده الباقية.. إيلي شويري في احتجاجه رسالة مؤلمة لكل المنتمين الذين يرون غياب القيم وتلاشي القمم وراء الحضور المتمايلة والوجوه المستنسخة.. لك الحب في ظهورك واحتجابك أيها المبدع الأصيل.

إسماعيل مروة

«شارع شيكاغو».. قصص الصراع والحب والتضحية والجمال

محمد عبد العزيز: العمل مرآة للشارع السوري

سلاف فواخرجي: النص غني وممتع ودوري مختلف

| وائل العدس – سارة سلامة
تصوير طارق السعدوني

خلال مؤتمر صحفي، أطلق مسلسل جديد بعنوان «شارع شيكاغو» من تأليف وإخراج محمد عبد العزيز وبطولة سلاف فواخرجي ومهيار خضور وهدى شعراوي ومالك محمد وجوان خضر وحسام الشاه وتيسير إدريس وهمام رضا وحسام سلامة وآخرين، على حين من المتوقع انضمام نجوم جدد من بينهم عباس النوري وجهاد سعد وإغراء.

وكتب عبد العزيز عمله الثالث في الدراما التلفزيونية إخراجياً بعد «ترجمان الأشواق» و«صانع الأحلام» بالتعاون مع ورشة كتّاب من خريجي قسم الدراسات في المعهد العالي للفنون المسرحية وهم رزان السيد وعلي ياغي ويزن الداهوك.

ويروي العمل قصة فتاة دمشقية تهرب برفقة بطل شعبي من المجتمع والجهات التي تلاحقها في حقبة الستينيات، حيث تلجأ لتياترو في شارع شيكاغو الذائع الصيت بدمشق، والذي كان يمثل وقتها الامتداد الحضاري والمعاصر للمجتمع الدمشقي، وينتهي الصراع بجريمة قتل غامضة تتكشف خيوطها في الوقت الحالي على يد محقق يعثر مصادفة على ملف القضية، فتتحول الحقبتان الزمنيتان إلى مرآتين تعكسان قصص الصراع والحب والتضحية والجمال.

ويأتي إطلاق العمل في وقت عصيب، تشهد فيه الدراما السورية تراجعاً مخيفاً في الكم والنوع هذا العام، ببصمة لافتة لمخرج يمتلك خصوصية متميزة إن كان في الدراما أو السينما، وبمشاركة نخبة من النجوم، وعلى رأسهم النجمة سلاف فواخرجي التي كانت وما زالت أكثر انتقائية في إطلالاتها كافة.

محمد عبد العزيز

مخرج العمل أكد أنه تعرف على شارع شيكاغو عن طريق الأديب الراحل برهان بخاري، فتحمس للفكرة حيث كان هذا الشارع منذ نهاية الأربعينيات وإلى أواخر الثمانينيات (وقت إغلاقه) يمثل الوجه الحضاري لدمشق ومرآة للمجتمع الدمشقي والسوري حينها.

وقال: وصلتُ إلى صيغة العمل الدرامية الحالية مع ثلاثة شباب موهوبين من قسم الدراسات، فكانوا شركاء حقيقيين، ونجحنا بتقديم المشروع خلال فترة وجيزة.

وأبدى سعادته بالتعاون مع سلاف فواخرجي التي وصفها بنجمة سورية الأولى التي ستظهر بشكل جديد كلياً، موضحاً أن شخصية «ميرامار» ستكون المحرك الأساسي للأحداث، بدور سيفاجئ الجميع، ويتطلب مهارات خاصة جداً، كاشفاً عن أسماء أخرى ستنضم للعمل يتم التفاوض معها حتى الآن.

وفي حديثه عن تفاصيل العمل، قال: إن العمل يبدأ بالمرحلة الأولى من حزيران عام ١٩٥٩ إلى الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٦١، أما الثانية فهي المعاصرة وتدور أحداثها في الوقت الجاري.

وأوضح أن العمل واقعي يمثل مرآتين مقابل بعضهما، وسيشكل مرآة للشارع السوري بكل تفاصيله، جازماً بأن العمل سيحظى بجماهيرية واسعة.

ورأى عبد العزيز أن الوقت هو العدو الحقيقي لهذا المشروع مع اقتراب حلول الموسم الرمضاني، مضيفاً إنه بمساعدة الشركاء وكامل أسرة العمل وتوافر الظروف المواتية والإمكانات اللازمة سنتجاوز هذا الأمر.

وكشف أنه كان سيتصدى لمهمة إخراج عملين عربيين، لكنه فضّل هذا المشروع المحلي باعتباره معنياً بالمشهد الثقافي السوري سواء في الدراما أم السينما، مشيراً إلى دعمه الكامل لأي عمل سوري صرف، خاصة أن «شارع شيكاغو» سوري بكل ما فيه من فنانين وفنيين.

وفي حديثه عن الأعمال التي تناولت الحرب على سورية، قال: عادةً، فإن الأعمال التي ترصد الحروب تكون هي الأنجح عالمياً منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى والثانية، لكن عملنا هذا لا يتطرق للحرب على سورية إلا ربما من الجانب المعيشي، لأن جوهر العمل لا يتطلب التطرق للحرب.

وأكد أن العمل يتجه نحو توجه جديد في الدراما، ويحتوي على متطلبات الدراما الحديثة، مشيراً إلى أن أي عمل سوري مهما كان بسيطاً فإنه يقدم محتوى ومغزى ومستوى عالياً.

هل يتقاطع العمل مع الشارع السوري؟ وهل سيتناول الأحداث السياسية فترة الستينيات خلال الوحدة بين سورية ومصر؟ سؤال أجاب عنه عبد العزيز: هنالك صيغة جديدة ننتقل فيها بين الفترتين، بحيث يكون العمل متناسقاً ومتناغماً، وبالنسبة للحقبة السياسية فلن نغوص فيها كثيراً، لكننا سنردد بعض المفردات والمعطيات التي تشير إلى هذه المرحلة، وفترة الوحدة حاضرة بشكل يساعد الفرضية الدرامية.

وأضاف: نقدم في العمل دراما تشبه الحياة، وفي هذه الحياة تعب وقوة وتضحية وحب وكره، وشخصياتنا كبشر تتشابه وتتقاطع مع جميع الشخصيات، وهي بمجملها شخصيات نعيشها ونصادفها ونشعر بها.

وكشف أن التصوير سينطلق بعد أسبوع، وأن كاميرته لن تغادر دمشق التي ستكون الدافع الأساسي للعمل.

وختم بالتأكيد على سعيه على أن يرتقي العمل على المستوى البصري، مشيراً إلى أن هذا العمل سيكون بمنزلة هدنة مع الرقابة التي سبق أن تدخلت في مسلسله «ترجمان الأشواق».

مهيار خضور: العمل اجتماعي عاطفي تاريخي ضمن قالب تشويقي حركي ممتع

دور مختلف

من جهتها، عبّرت النجمة سلاف فواخرجي عن اشتياقها للعمل السوري الخالص، مشددة على الإيمان الكامل بتقديم عمل مميز وجميل يشبه المجتمع السوري بتفاصيله كافة، ومثنية في الوقت نفسه على جمالية النص الذي أعجبت فيه منذ القراءة الأولى، ووصفته بالغني، معربة عن أملها في أن يشعر الجمهور بهذا الغنى، ويرى نفسه جزءاً من الحكاية عند مشاهدة العمل.

وتعليقاً على أنها نجمة العمل الأولى، رأت أن كل الممثلين السوريين نجوم وفي الصفوف الأولى، وبالنهاية وبإيماننا الكبير بعملنا سنشكل جميعاً لوحة فسيفساء واحدة.

كما أبدت سعادتها بالتعاون مع المخرج محمد عبد العزيز، هذه التجربة وإن تأخرت فإنها تبقى فرصة مهمة أتشرف بالعمل فيها مع مخرج يمتلك من الخصوصية ما يكفي لصناعة عمل ناجح وجوهري.

ورداً على سؤال «الوطن»، أكدت فواخرجي أنها تسعى للانتقائية حتى لو كانت على حساب الحضور، قائلة: أعشق مهنتي، وأشتاق دوماً للوقوف أمام الكاميرا، لكنني في الوقت نفسه أحرص على الظهور اللائق، فالنص ممتع وذكي وجميل، والمخرج فنان حقيقي وصاحب رؤية، ودوري مختلف ويستحق الوقوف عنده، لأنه يحوي الكثير من الخصوصية.

وشددت في سياق آخر على أن المرأة السورية متميزة دائماً بمختلف مستوياتها الاجتماعية، كاشفة أن الشخصية التي تؤديها ستكون عميقة وغنية فكرياً وثقافياً.

قالب تشويقي

بدوره، عبّر النجم مهيار خضور عن استمتاعه بالنص الذي كان ينتظر قراءته الحلقة تلو الأخرى، مبيناً أن العمل اجتماعي عاطفي تاريخي ضمن قالب تشويقي حركي ممتع جداً، متمنياً تقديم عمل يليق بذائقة المشاهد السوري والعربي الذي سيسافر برحلة جميلة من ستينيات القرن الماضي حتى وقتنا الحالي.

وكشف أنه يلعب دور «مراد عكاش» الذي يمثل البطل الشعبي، ويعيش ظروفاً صعبة عدة، يفقد فيها أهله، لتصبح هذه الظروف مكوناً أساسياً في شخصيته يتأتى منها لاحقاً عناده وإصراره للوصول إلى ما يريده.

ونفى وجود تقاطعات بين هذه الشخصية الشعبية وبين شخصية «زكوان» التي أداها في مسلسل «عناية مشددة» لأن الثانية كانت سلبية بالمطلق.

ورداً على سؤال حول غيابه عن الأضواء، قال: الغياب لم يكن متعمداً بل جاء نتيجة ظروف عدة، منها الخريطة الإنتاجية بالمنطقة، وربما تعود للفنان الذي يعيد حساباته في الكثير من الأشياء، وبالتأكيد لستُ محسوباً على شركة إنتاج بعينها.

١١ عملاً

ويعد «شارع شيكاغو» المسلسل السوري الحادي عشر هذا العام، حيث صور ويُصور ومن المقرر أن يصور عشرة أعمال وهي «حارس القدس» و«بروكار» و«يوماً ما» و«مقابلة مع السيد آدم» و«ومن الحب» و«سوق الحرير» و«الحرملك٢» و«الجوكر» و«صقار» و«بقعة ضوء١٥»، على حين لم يتأكد بعد تصوير الجزء الحادي عشر من مسلسل «باب الحارة».

في مجلسه كان يضم الأمراء وأكابر الأطباء

ابن النفيس: صاحب أكبر موسوعةٍ طبية كتبها شخصٌ واحد ومكتشف الدورة الدموية الصغرى

| نبيل تللو

يُعَدُّ العالم والطبيب العربي «علاء الدين بن أبي الحزم القرشي الدمشقي المعروف بـ«ابن النفيس» المولود في دمشق والمتوفى في القاهرة (٦٠٧– ٦٨٧ هـ، ١٢١٠– ١٢٨٨ م) بحق صفحةً مشرقة في تاريخ التراث العلمي العربي، فقد خلَّف تراثاً علمياً ضخماً ومنوعاً في اللغة والفلسفة والفقه والحديث والطب. في هذه المقالة سوف نتعرف سريعاً على هذا العالم العربي ومؤلفاته، ولا سيما كتابه الأشهر: «الشامل في الصناعة الطبية» الذي يُعَدُّ أكبر موسوعة طبية في التاريخ كتبها شخصٌ واحد فقط، راجياً أن يتذكر كرام القارئات والقراء ما نسوه، وأن يتعرفوا على ما لا يعرفونه.

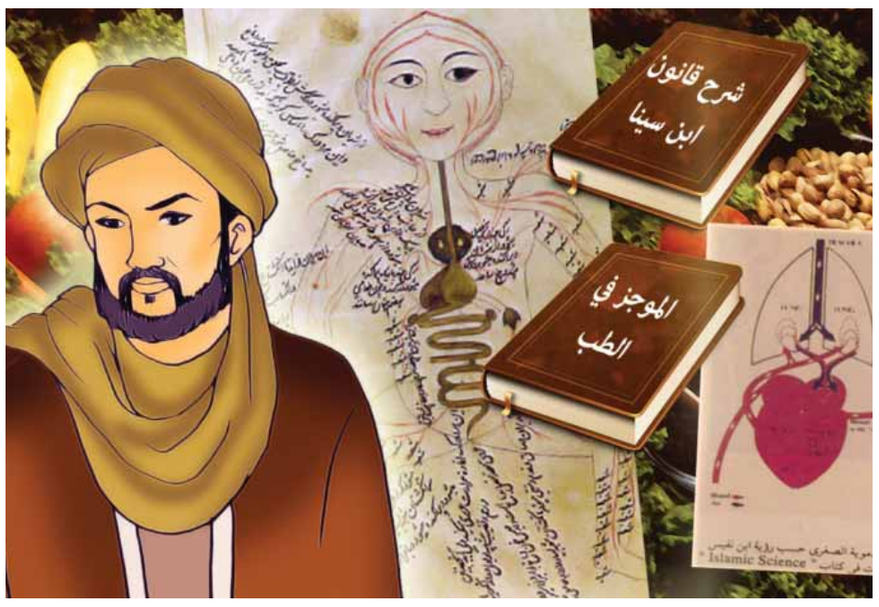

ابن النفيس، دون أن نعرف ـ يقيناً ـ سبب هذا اللقب، ربما أطلقه بعضهم عليه لنفيس علمه وبراعته في الطب، كما يُعرف بـ«القَرْشي» نسبة إلى «قَرْش» في ما وراء النهر، ومنها أصله، وليس أصله من قريش في الجزيرة العربية، ويُقال أيضاً إنَّ أصله من قرية صغيرة قرب دمشق تدعى: «قَرْش»، وكانت خارج أسوار المدينة، وهي اليوم حيٌّ من أحياء الميدان الوسطاني الدمشقي. كما كان يُعرف أيضاً بـ«المصري» لأنه عاش شطراً واسعاً من حياته في مصر، ولُقِّبَ بـ«ابن سينا الثاني» لعظيم مكانته في الطب بعد الشيخ الرئيس ابن سينا، وبـ«عبقري الطب العربي»، فقد كان طبيباً عظيماً وأعظم أهل عصره بالطب، وفقيهاً مشهوراً، وفلسفياً ولغوياً، تعلَّم الطب في دمشق، في البيمارستان (أي المشفى) النوري الكبير الذي أنشأه السلطان نور الدين محمود بن زنكي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وكان «مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار» أحد معلميه، نزل مصر ومارس الطب في المستشفى الناصري، ثم في المستشفى المنصوري الذي أنشأه السلطان قلاوون، وأصبح عميد أطباء هذا المستشفى، وكان طبيباً خاصاً لحاكم مصر الظاهر بيبرس الذي عيَّنه رئيساً للأطباء، فأصبح شيخ الطب في الديار المصرية، ولم يكن هذا المنصب فخرياً، بل كانت له السلطة لمحاسبة الأطباء ومراجعتهم في هفواتهم، وكان يحضر مجلسه في داره جماعةٌ من الأمراء وأكابر الأطباء.

كتب ابن النفيس في علومٍ شتى، ومن كتبه «الموجز في الطب» و«شرح فصول أبقراط» و«المهذب في الكحل المجرَّب» و«المختصر في أصول علم الحديث»، و«الرسالة الكاملية» التي عارض فيها ابن سينا وابن طفيل في كتابيهما العظيمين «حي بن يقظان»، و«شرح تشريح القانون» وفيه وصف اكتشافه للدورة الدموية الصغرى، معلناً أنَّ عضلة القلب تتغذَّى من الأوعية الموجودة في جوفه، وهو في ذلك يناقض جالينوس وابن سينا.

غير أنَّ أهم كتبه على الإطلاق هو:

– الشامل في الصناعة الطبية: وهو أضخم موسوعة طبية يكتبها شخصٌ واحدٌ في التاريخ الإنساني، وضعها ابن النفيس لتكون مرجعاً طبياً شاملاً، أعدَّ منه ثمانين جزءاً قبل أن توافيه منيته، وكان في تقديره سيكون ثلاثمئة جزء، وما كان له المقدرة على كتابته لولا أنَّه قد درس مؤلفات من سبقه من علماء الطب بدءاً بجالينوس، مروراً بحنين بن اسحق والرازي والمجوسي وابن سينا، وكتب تعليقات جوهرية على كتاب: «القانون في الطب» لابن سينا؛ راجع فيه مفاهيم كانت قد وضعت في وظائف أعضاء الإنسان وتشريحه، فقام بإصلاحاتٍ فيها معتمداً على دراسة الطب والفيزياء وعلوم الدين، لتكوين فهمٍ كامل لطبيعة الجسم الحي، ومعتمداً أيضاً على علم التشريح من خلال معاينة تشريح الحيوان.

كما يُذكر عن طريقته في التأليف أنَّه كان ما أن تأتيه فكرة حتى يسارع إلى تدوينها، فتتداعى أفكاره كالسيل، وكان لا يرجع إلى مرجع، وإنما إلى ما يحفظ في ذاكرته ومشاهداته واستنتاجاته.

قسَّم ابن النفيس كتابه: «الشامل في الصناعة الطبية» إلى فنون، والفن إلى أجزاء، والجزء إلى أنماط، والنمط إلى كتب، وكل كتاب يشتمل على تعاليم وفصول تشرح أسرار الصناعة الطبية التي كانت معروفة في ذاك الوقت، منها وظيفتا الطبيب والمريض وواجبات كلٍّ منهما، والعقاقير والأغذية، مرتبة على حروف المعجم، شارحاً ماهيتها وأماكن وجودها والجزء المستعمل منها دواءً، والأدوية المفردة واستعمالاتها.

وهكذا نرى من خلال الأجزاء المتوافرة من كتاب «الشامل في الطب» أنَّ ابن النفيس كان طبيباً عالماً متمكِّناً من مختلف العلوم، ولربما كان آخر العلماء العرب المسلمين العظماء، وكانت مؤلفاته واكتشافاته للدورة الدموية الصغرى تتويجاً لمرحلة من أزهى مراحل الطب العربي.

غير أنَّ ما هو معروف من مخطوطات كتاب الشامل في الطب ضئيل، وهي مبعثرة في العديد من المكتبات خارج المنطقة العربية، وقد قام الباحث الدكتور يوسف زيدان بجمع ما هو موجود وتحقيقها، ونشرها المجمع الثقافي في العاصمة الإماراتية أبو ظبي بين عامي ٢٠٠٠ – ٢٠١٠ في ثلاثين جزءاً، وبلغ عدد صفحاتها نحو ١٥ ألفاً، وما يزال العمل مستمراً.

أخيراً أقول: حسناً ما قامت به الحكومة السورية من إطلاق اسم «ابن النفيس» على أحد أكبر مشافيها في دمشق، تقديراً لمكانته العلمية التي لا نظير لها حتى أيامه، ولتبقى ذكراه حيَّةً في نفوس الأجيال المتعاقبة.

صفحة من كتاب الشامل في الصناعة الطبية كتبها ابن النفيس بخط يده، وصفحة الغلاف لأحد الأجزاء المحققة.